

بسم الله الرحمن الرحيم

مقرر العقيدة ١١٠

مفردات المقرر

أولاً: الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى.

أدلة وجود الله تبارك وتعالى:

الفطرة. الخلق. العناية.

دور العلم الحديث في إثبات وجود الله تعالى.

إنكار وجود الله تبارك وتعالى.

المنكرون لوجود الله قديماً وحديثاً. أسباب انتشار الإلحاد.

حقيقة الإلحاد في الواقع وفي النفس البشرية.

ثانياً: الإيمان بتوحيد الربوبية:

١- معنى الإيمان بتوحيد الربوبية وبيان منزلته.

٢- الأصل في البشرية التوحيد.

٣- الأساليب القرآنية في تقرير التوحيد، والدعوة إليه، وبيان أن المشركين كانوا

يقرون به، ولم ينفعهم ذلك الإقرار.

٤- منهج أهل السنة والجماعة في تقرير هذا التوحيد، مع الإشارة إلى نقد الطرق

المخالفة.

ثالثاً: نواقض توحيد الربوبية:

١- تحقيق معنى الشرك في الربوبية. ٢- صور الشرك في الربوبية.

رابعاً: أثر الإيمان بالربوبية في سلوك المسلم.

المراجع:

١- معارج القبول: الشيخ حافظ حكمي. ٢- إيثار الحق على الخلق: ابن

الوزير اليمني.

٣- دعوة التوحيد: د. محمد خليل هراس. ٤- ابن تيمية السلفي: د. محمد خليل

هراس.

٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

٦- العقيدة في الله: د. عمر الأشقر.

٧- الله يتجلى في عصر العلم: لمجموعة من العلماء الغربيين.

الإيمان بالله

تأليف الشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله-صلى الله عليه وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً..

أما بعد:

فإن علم العقيدة أشرف العلوم، وأجلها قدراً، وأهمها على الإطلاق.

وأشرف وأجل وأهم ما في هذا العلم مبحث الإيمان بالله-عز وجل-.

فالإيمان بالله أصل الأصول، وهو أول ركن من أركان الإيمان الستة كما قال-تعالى-: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

وكما قال ﷺ عندما سأله جبريل-عليه السلام-عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

والإيمان بالله-عز وجل-رأس كل فلاح، وأسس كل نجاح، فما أنزلت الكتب، ولا أرسلت الرسل إلا لأجل تقريره وتثبيتته في النفوس.

وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن الإيمان بالله وذلك من خلال

المباحث التالية:

-معنى الإيمان بالله.

-ماذا يتضمن الإيمان بالله؟

-الأدلة على وحدانية الله.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان رقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم (٨).

- ثمرات الإيمان بالله.
 - ما ضد الإيمان بالله ؟
 - معنى الإلحاد.
 - أسباب الإلحاد.
 - كيف دخل الإلحاد بلاد المسلمين ؟
 - الآثار المترتبة على الإلحاد.
- فما كان في ذلك من صواب فذلك من الله وحده ، وما كان فيه من زلل فمن نفسي
والشيطان.
- وأخيراً أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع بهذه السطور كاتبها ،
وناشرها ، وقراءها؛ إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير .
والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي : ص.ب : ٤٦٠

www.toislam.net



معنى الإيمان بالله

للإيمان بالله وتوحيده عدة تعريفات ، تتفق في المعنى وربما اختلفت ألفاظها ، فمن تلك التعريفات ما يلي :

١- هو إفراد الله بما يستحق.

٢- إفراد الله بحقوقه.

٣- «التصديق الجازم من صميم القلب بوجود ذاته-تعالى- الذي لم يسبق بضد ، ولم يعقب به ، هو الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء ، حي قيوم ، أحد صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿ (الإخلاص: ٣ ، ٤) وتوحيده بألوهيته ، وربوبيته ، وأسمائه وصفاته»^(١).

٤- «الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه ، وأنه الخالق وحده ، المدبر للكون كله ، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، وأن كل معبود سواه فهو باطل ، وعبادته باطلة ، قال-تعالى-: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (الحج: ٦٢).

وأنه-سبحانه-متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال ، منزه عن كل نقص وغيب.



(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي.

تحقيق: مصطفى أبو النصر الشلبي ، مكتبة السوادى بجدة ، ص ٥٠.

ماذا يتضمن الإيمان بالله ؟

من خلال ما مضى يتبين أن الإيمان بالله يتضمن أموراً أربعة :

١- الإيمان بوجود الله.

٢- الإيمان بربوبيته.

٣- الإيمان بأسمائه وصفاته.

٤- الإيمان بألوهيته.



الأدلة على وحدانية الله - سبحانه وتعالى -

الأدلة على وحدانية الله كثيرة جداً ويكفي منها شهادته-عز وجل-لنفسه حيث قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ (آل عمران: ١٨).
وصدق من قال:

وفي كل شيء له آيةٌ	تدل على أنه الواحد
فواعجباً كيف يعصى	أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكه	وتسكينه أبداً شاهد

ومن الأدلة على وحدانية الله ، وعلى تفرد به بالخلق والرزق ، وأنه وحده المستحق للعبادة ما يلي :

- ١- الفطرة.
- ٢- الشرع.
- ٣- العقل.
- ٤- الحس.
- ٥- الاستدلال بأسماء الله وصفاته.

وهذه الأدلة بمجموعها تدل على وجود الله ، وتدل على أنواع التوحيد الثلاثة؛ ذلك أن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة ، ومن أشرك في واحد منها فهو مشرك في البقية.

مثال ذلك من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فدعاؤه عبادة صرفاً لغير الله ، وهذا شرك في الألوهية.

وهذا الدعاء لغير الله متضمن لاعتقاد الداعي أن المدعو متصرف مع الله ، وقادر على قضاء ذلك ، وهذا شرك في الربوبية.

ثم إنه لم يدعه إلا لاعتقاده أنه يسمعه، وهذا شرك في الأسماء والصفات؛ لاعتقاده أن للمدعو سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد. ومن هنا نجد أن الشرك في الألوهية مستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات^(١).

وفيما يلي تفصيل للأدلة السابقة.



(١) انظر أعلام السنة المنشورة، ص ٧٧، السؤال رقم ٧٣.

١- دلالة الفطرة

الفطرة في اللغة هي الخلق، أما في الشرع فهي الإسلام على القول الراجح كما رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم^(١) -رحمهما الله تعالى-. «وكل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه»^(٢). قال النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

وفي رواية: «إلا على هذه الملة» وفي رواية «إلا على الملة»^(٣). وفي حديث عياض بن حمار^(٤) يقول -تعالى- في الحديث القدسي: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»^(٥). قال ابن القيم^(٦) «وذكروا عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة في قوله -عز وجل-: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠) قالوا: (فطرة الله) دين الإسلام (لا تبديل لخلق الله) قالوا: لدين الله»^(٥).

ثم إن الإنسان مفطور على اللجوء إلى ربه -تبارك وتعالى- عند الشدائد، فإذا ما وقع الإنسان -أي إنسان- حتى الكافر الملحد -في شدة، أو أهدق به خطر- فإن الخيالات

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم، ص ٥٧٢-٥٧٥، وانظر درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧١/٨.

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية، للشيخ محمد بن عثيمين، ص ١١.

(٣) رواه البخاري ٩٧/٢، ومسلم ٢٠٤٧/٤ برقم (١٢٥٨).

(٤) مسلم ٢١٩٧/٤ برقم (٢٨٦٥).

(٥) شفاء العليل، ص ٥٧٢-٥٧٣، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٣٧٦/٨.

والأوهام تتطاير من ذهنه، ويبقى ما فطر عليه ليصيح بأعلى صوته، ومن قرارة نفسه، وعميق قلبه، منادياً ربه؛ ليفرج كربته وهمه، ويلجأ إليه وحده دون سواه^(١).

وصدق الله-تعالى- إذ يقول: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥).

وليس المراد بأنه يولد على الفطرة أنه يولد عالماً بأمور الإسلام؛ فالله-سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ (النحل: ٧٨).

وليس المراد-أيضاً-أنه يولد ساذجاً لا يعرف شركاً ولا توحيداً؛ لأن الرسول ﷺ قال: «إلا ويولد على الفطرة» وفي رواية: «على هذه الفطرة».

بل المراد أن كل مولود يولد على فطرته لفاطره، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، فلو خُلِّيَ وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية، والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه^(٢).

ولذلك قال ﷺ: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ولم يقل يسلمانه؛ لأنه باقٍ على الأصل، فاعتناق غير الإسلام يعد خروجاً عن الأصل والقاعدة بأسباب خارجة.



(١) مستفاد من مذكرة للشيخ عبدالله الجاسر.

(٢) انظر شفاء العليل لابن القيم، ص ٥٧٨-٥٧٩.

٢- دلالة الشرع

أما دلالة الشرع فواضحة معلومة؛ فما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب يدل دلالة قاطعة على وحدانية الله، فالكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح العباد في دنياهم وأخراهم؛ كالصلاة، والزكاة، والحج، وغيرها، وما جاءت به من الأخبار الكونية، والمغيبات التي شهد الواقع بصدقها- كل ذلك يدل على أنها من رب حكيمٍ عليمٍ مستحقٍ للعبادة وحده لا شريك له^(١).



٣- دلالة العقل

أما دلالة العقل على وحدانية الله فلأن المخلوقات جميعها لا بد لها من مُوجدٍ وخالقٍ؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة؛ فهذه المخلوقات لا يمكن أن تُوجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟ كذلك لا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لا بد له من مُحدثٍ، ولأن وجودها على هذا النظام المتسق البديع المتألف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات وبين الكائنات بعضها مع بعض- يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفةً^(٢).

(١) انظر نبذة في العقيدة الإسلامية، ص ١١-١٢.

(٢) انظر الرياض الناضرة لابن سعدي ص ١٩٤، ونبذة في العقيدة الإسلامية، ص ١١-١٥.

أضف إلى ذلك ما تجده من افتقار المخلوق الشديد؛ فالافتقار وصف ذاتي للمخلوق ملازم له؛ مما يدل على أنه لا بد من وجود خالق، كامل، غني عما سواه، وهو رب العالمين.

وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - هذا الدليل العقلي والبرهان القاطع في سورة الطور، حيث قال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥).
يعني أنهم لم يُخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله - تبارك وتعالى -^(١).

ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ قوله - تعالى -: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ الآية وكان يومئذٍ مشركاً - قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي».
رواه البخاري مُفْرَقاً^(٢).

ولهذا نجد أن الله - سبحانه وتعالى - يحث كثيراً في كتابه على التعقل والتبصر؛ ولا أدل على ذلك من كثرة الآيات التي تُحْتَمُّ بمثل قوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾؛ لأن الإنسان إذا تفكر تذكر، وعرف الحق، وإذا تذكر خاف واتقى وانقاد.

ولهذا نجد أن العقلاء الجادين الباحثين عن الحق - يصلون إليه، ويوقفون له، وليس أدل على ذلك من حال العقلاء في الجاهلية أمثال قُـس بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد وعم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنحن نجد في ثنايا كلامهما الإقرار بوحدانية الله - عز وجل - مع أنهما يعيشان في مجتمع يعج بالجهل والشرك.

(١) مرجع سابق.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، ٤٩/٦ - ٥٠.

يقول قس في خطبته المشهورة التي ألقاها في سوق عكاظ: «أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهَر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، إن في السماء لحبراً وإن في الأرض لعبيراً، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا في المقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟

يقسم قسُّ بالله قسماً لا إثم فيه أن الله ديناً هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً، ثم أنشأ يقول:

في	الـ	زاهيين	الأوليـ	_____	ن	من	القرون	بصائر
لمـ	أرأيت	مـ	وارداً	_____	للقوم	ليس	لها	مصادر
ورأيت	قـ	ومي	نحوها	_____	يمضي	الأكابر	والأصاغر	
لا	يرجع	الماضي	إلـ	_____	ي	ولا	من	الباقيـ
أيقنت	أنـ	ني	لا	محا	_____	له	حيث	صار
							القوم	صائر

ويقول زيد بن عمرو في شعره المشهور:

وأسلمت	وجهي	لمن	أسلمت	_____	له	الأرض	تحمل	عذبا	زلالا
دحاها	فلما	استوت	شدّها	_____	جميعا	وأرسي	عليها	الجبالا	
وأسلمت	وجهي	لمن	أسلمت	_____	له	المزن	تحمل	عذبا	زلالا
إذا	هي	سيقت	إلى	بلدةٍ	_____	أطاعت	فصبت	عليها	سجالا

ويقول:

أرباً	واحداً	أم	ألف	رب	_____	أدين	إن	تقسمت	الأمر
هجرت	اللات	والعزى	جميعاً	_____	كذلك	يفعل	الجلد	الصبور	

بل إن كثيراً من كبار المفكرين الغربيين اهتدوا إلى الحق بسبب إجلالهم أفكارهم وبحثهم عن الحق.

ومن نظر في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) - وقد كتبه ثلاثون من علماء الطبيعة والفلك ممن انتهت إليهم الرئاسة في هذه الأمور - ومثله كتاب (كريسي موريسون) رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك (الإنسان لا يقوم وحده) وترجم إلى العربية تحت عنوان (العلم يدعو إلى الإيمان) - يدرك أن العالم الحقيقي لا يكون إلا مؤمناً، وأن العامي لا يكون إلا مؤمناً، وأن الإلحاد والكفر لا يكون إلا من أنصاف العلماء وأرباب العلماء؛ ممن تعلم قليلاً من العلم، وخسر بذلك الفطرة المؤمنة، ولم يصل إلى العلم الذي يدعو إلى الإيمان^(١).

وبهذا يتبين لنا أن العقل يدل على وحدانية الله - عز وجل -.

أما إذا أنكر العقل ذلك فإن الخلل في العقل نفسه، وصدق من قال:

إذا ادعى عقلك إنكاره فأنكر العقل ودعواه

ومن هنا يتبين لنا بطلان قول من قال: إن هذا الكون نشأ بالصدفة، أو أن الطبيعة هي الخالق.

إن هذه الدعاوى ليست إلا مكابرةً وعناداً لما هو متقرر بالمعقول والمنقول، فمن قال: إن هذا الكون نشأ عن طريق الصدفة يقال له: كيف نشأ هذا الكون الفسيح العظيم المتسق المتناسق عن طريق الصدفة؟!

(١) استفاد من مذكرة للشيخ: د. ناصر القفاري، وانظر كتاب الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفرمونسيما، ترجمة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان، راجعه وعلق عليه. د. محمد جمال الدين الفندي.

وانظر كتاب العلم يدعو للإيمان، تأليف: كريسي موريسون، ترجمة محمد صالح الفلكي، والكتابان من منشورات دار القلم، بيروت.

وخذ هذا المثال الذي نقله وحيد الدين خان عن العالم الأمريكي (كريسي موريسون) يبين فيه استحالة القول بوجود الكون مصادفة قال: «لو تناولت عشرة دراهم وكتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة، ثم رميتها في جيبك وخلطتها جيداً، ثم حاولت أن تخرج من الواحد إلى العشرة بالترتيب العددي، بحيث تلقي كل درهم في جيبك بعد تناوله مرة أخرى، فإمكانك أن تناول الدرهم المكتوب عليه واحد في المحاولة الأولى هي واحد في المائة وإمكان أن تخرج الدراهم (١-٢-٣-٤) بالترتيب هو واحد في عشرة آلاف، حتى أن الإمكان في أن تنجح في تناول الدراهم من (١-١٠) بالترتيب واحد في بلايين من المحاولات»^(١).

وعلى ذلك فكم يستغرق بناء هذا الكون لو نشأ بالمصادفة والاتفاق؟ إن حساب ذلك بالطريقة نفسها يجعل هذا الاحتمال خيالياً يصعب حسابه فضلاً عن تصوره.

إن ما في هذا الكون يحكي أنه إيجاد موجد حكيم عليم خبير، لكن الإنسان ظلوم جهول ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (عبس: ١٧-١٩)^(٢).

أما القول بأن الطبيعة هي الخالق فتلك فرية عظيمة لا دليل عليها، وتهافتها واضح بين لا يحتاج إلى أي رد بل إن تصور ذلك كافٍ في الرد على أصحابه^(٣). ومن تلك الدعاوي نظرية (دارون) التي حاول أصحابها أن يعللوا بها وجود الأحياء، وتزعم هذه النظرية أن أصل الإنسان حيوان صغير نشأ من الماء، ثم أخذت البيئة تفرض عليه من التغييرات في تكوينه، مما أدى إلى نشوء صفات جديدة في هذا الكائن، وأخذت هذه الصفات المكتسبة تورث في الأبناء حتى تحولت مجموع هذه

(١) انظر العقيدة في الله، للشيخ عمر الأشقر، ص ٧٤-٧٥.

(٢) انظر العقيدة في الله ص ٧٤-٧٥.

(٣) انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق، ص ٧٤-٩٨، وانظر إلى كتاب: العلم يتبرأ من نظرية دارون، لزياد أبو غنيمة.

الصفات الصغيرة الناشئة من البيئة عبر ملايين السنين إلى نشوء صفات كثيرة راقية جعلت ذلك المخلوق البدائي مخلوقاً أرقى ، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات حتى وصل إلى هذه المخلوقات التي انتهت بالإنسان. هذا هو ملخص تلك النظرية ، وعوارها وزيفها واضح بين^(١).
وقد ثبت بطلانها حتى عند أهلها ، ومما يقال في ذلك ، أنه على فرض صحتها فمن الذي أنشأ ذلك الحيوان الصغير ؟ ومن الذي جعله يتطور حتى وصل إلى ما وصل إليه ؟!



(١) انظر العقيدة في الله ص ٧٩-٩٢ ففيه تفصيل الرد على تلك الدعوى ، وانظر العلم بتبراً من نظرية دارون.

٤ - دلالة الحس

فالحس يدل بوضوح على وجود الله ووحدانيته-سبحانه وتعالى-والأدلة الحسية على ذلك كثيرة جداً، ومنها:

أ- إجابة الدعوات:

ويعني بها إجابة دعوات الملهوفين والمكروبين وغيرهم، ممن يدعون الله-سبحانه وتعالى- فيستجاب لهم، ويحصل لهم مقصودهم. والأمثلة على ذلك لا تحصى ولا تحصر، سواء كان ذلك في حق الأنبياء-عليهم السلام- أم في حق غيرهم.

ومن ذلك ما قاله الله-سبحانه وتعالى- عن نوح-عليه السلام-: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿ (القمر: ١٠-١٢).

وما قصه الله-سبحانه- عن يونس-عليه السلام-: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧) فاستجاب دعاءه، ونجاه من بطن الحوت.

وقال عن أيوب-عليه السلام-: ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ عَلَيَّ وُعْدَابَ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٤١-٤٣).

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «إن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع لنا، فرفع النبي ﷺ يديه، فدعا، فثار السحاب كأمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره-حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته.

وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال؛ فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت»^(١).

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى هذا اليوم لمن أتى بشرائط الإجابة، وكثيراً ما نسمع أن الناس ذهبوا للاستسقاء وقبل أن يخرجوا من المسجد إذا هم يمطرون.

فإجابة الدعاء دليل قاطع على وحدانية الله-عز وجل-.

ب- صدق الرسل-عليهم السلام-:

وهذا دليل حسي واضح، فالرسل-عليهم السلام-هم أكمل البشر، قد بلغوا عن الله رسالاته، وقد اصطفاهم الله، واختارهم من بين الخلق، وأيدهم بالآيات البيّنات، ونصرهم، وجعل الغلبة لهم، والدولة على أعدائهم. فالإنسان إزاء الأنبياء لا يملك إلا أن يقطع بصدقهم؛ إذ إن دعوى النبوة أعظم الدعاوى، ولا يدعيها إلا أصدق الناس أو أكذبهم، فالأنبياء هم أصدق الناس على الإطلاق؛ فظهور المعجزات على أيديهم، وتأيد الله لهم، وخذلانه لأعدائهم، وما جبلوا عليه من كريم الخلال، وحميد الخصال، كل ذلك يدل على صدقهم، وبالتالي نعلم أنهم مبعوثون من عند الله، وأنه-سبحانه-حق، وعبادته حق.

ج- دلالة الأنفس:

لقد صور الله الإنسان على أحسن صورة، وخلقَهُ في أحسن تقويم؛ كما قال-سبحانه وتعالى- ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (التغابن: ٣).
وكما قال-عز وجل- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين: ٤).

(١) انظر البخاري (١٠٣٣).

ولو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله ، ونظر ظاهره وما فيه من كمال خلقه ، وأنه متميز عن سائر الحيوانات-لأدرك أن وراء ذلك رباً خالقاً حكيماً في خلقه ، ولعلم أن هذا الخالق هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله في تقرير هذا المعنى عند قوله-تعالى-: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ﴾ (الشمس : ٧) : «وعلى كلِّ فالنفس آيةٌ كبيرة من آيات الله التي يحقُّ الإقسام بها؛ فإنها في غاية اللطف، والخفة، سريعة التنقل، والحركة، والتغير، والتأثر، والانفعالات النفسية من الهمة، والإرادة، والقصد، والحب. وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثالٍ لا فائدة فيه، وتسويئُها على ما هي عليه آيةٌ من آيات الله العظيمة.

والمقصود أن نفس الإنسان من أعظم الأدلة على وجود الله وحده ، ومن ثم تفرد به بالعبادة» .

د- هداية المخلوقات :

وهذا مشهد من مشاهد الحس الدالة على وحدانية الله-عز وجل-فلقد هدى الله الحيوان : ناطقه وبهيمه ، وطيره ودوابه ، وفصيحه وأعجمه إلى ما فيه صلاحُ معاشه وحاله .

ويدخل تحت قوله-تعالى-: ﴿ **رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾ (طه : ٥٠) .

تلك الآية التي رد بها موسى-عليه السلام-على فرعون-يدخل تحتها من العجائب والغرائب ما لا يحصيه إلا الله-عز وجل-.

فَمَنْ الذي هدى الإنسان ساعة ولادته إلى التقام ثدي أمه؟ ومن الذي أودع فيه معرفة عملية الرضاع؟ تلك العملية الشاقة التي تتطلب انقباضات متوالية من عضلات الوجه، واللسان، والعنق، وحركات متواصلة للفك الأسفل، والتنفس

مع الأنف، كل ذلك يتم بهداية تامة وبدون سبق علم أو تجربة، فمن الذي ألهمه ذلك؟ إنه ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)﴾.

ثم إن هدايته بعد أن يكبر إلى السعي في مصالحة من الضرب في الأرض، والسير فيها، كل ذلك من الهداية التامة العامة للمخلوقات.

أما هداية الطير، والوحش، والدواب-فحدث ولا حرج، فلقد هداها الله إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان.

وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه (شفاء العليل) أموراً عجيبة من هذا القبيل، فقد تحدث عن هداية النحل بما يأخذ بالألباب، ويزيد إيماناً برب الأرباب^(١). حيث تحدث عن اتخاذها اليعسوب أميراً، وعن طريقة ولادتها، ورعيها، ودقة تنظيمها، وتوزيعها المهام على فرق شتى، فمنها فرقة تلزم الملك ولا تفارقه، ومنها فرقة تهيب الشمع وتصنعه، وفرقة تكنس الخلايا وتنظفها من الأوساخ والجيف والزبل.

وإذا رأت النحل بينها نحلة مهينة بطالة قطعتها، وقتلتها؛ حتى لا تفسد عليهن بقية العمال، وتُعديهن ببطالتها ومهانتها.

ثم تحدث رحمه الله عن طريقة بنائها البيوت، فقال: ثم يأخذن في ابتناء البيوت على خطوط متساوية، كأنها سكك ومحال، وتبني بيوتها مسدسة متساوية الأضلاع، كأنها قرأت كتاب «إقليدس» حتى عرفت أوفق الأشكال لبيوتها؛ لأن المطلوب من بناء الدور هو الوثاق والسعة، والشكل المسدس دون سائر الأشكال إذا انضمت بعض أشكاله إلى بعض صار شكلاً مستديراً كاستدارة الرحي، ولا يبقى فيه فروج ولا خلل، ويشد بعضه بعضاً حتى يصير طبقة واحداً محكماً، لا يدخل بين بيوته رؤوس الإبر، فتبارك الذي ألهمها أن تبني بيوتها هذا البناء المحكم».

(١) انظر شفاء العليل، ص ١٤٤-١٦٤.

ثم تحدث عن طريقة خروجها للمرعى ، وادخارها للكسب ثم قال : « وفي النحل كرامٌ لها سعيٌّ وهممةٌ ، واجتهادٌ ، وفيها لئامٌ كسالى قليلةٌ النفع مؤثرةٌ للبطالة ؛ فالكرام دائماً تطردها وتنفيها عن الخلية » .

وفي ختام حديثه عنها قال : « ولما كانت النحل من أنفع الحيوانات وأبركها ، قد خُصت من وحي الرب -تعالى- وهدايته بما لم يشركها فيه غيرها ، وكان الخارج من بطونها مادة الشفاء من الأسقام والنور الذي يضيء في الظلام بمنزلة الهداة من الأنام- كان أكثر الحيوانات أعداءها ، وكان أعداؤها من أقل الحيوانات منفعة وبركة ، وهذه سنة الله في خلقه وهو العزيز الحكيم » .

ثم تحدث- أيضاً- عن هداية النمل^(١) قائلاً : « وهدايتها من أعجب شيءٍ ؛ فإن النملة الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها ، وإن بعدت عليها الطريق ، فإذا ظفرت به حملته ، وساقته في طرق معوجة بعيدة ذات صعودٍ وهبوطٍ في غاية التوعر ، حتى تصل إلى بيوتها فتخزن فيها أقواتها وقت الإمكان ، فإذا خزنتها عمدت إلى ما ينبت منها ففلقتة فلقنتين ؛ لثلا ينبت ، فإن كان ينبت مع فلقته باثنتين فلقته بأربع ، فإذا أصابه بلل ، وخافت عليه العفن والفساد انتظرت به يوماً ذا شمس ، فخرجت به فنشرته على أبواب بيوتها ، ثم أعادته إليها .
ولا تتغذى منه نملة مما جمعه غيرها .

ويكفي في هداية النمل ما قاله الله- سبحانه- في القرآن عن النملة التي سمع سليمان كلامها وخطابها لأصحابها بقولها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل : ١٨) .

فاستفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه من خاطبته ، ثم بالاسم المبهم ، ثم أتبعته بما يشبه من اسم الجنس ؛ إرادة للعموم ، ثم أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم فيتحصنوا

(١) انظر شفاء العليل ، ص ١٤٧-١٥١ .

من العسكر، ثم أخبرت عن سبب الدخول؛ خشية أن تصيبهم معرة الجيش، فيحطمهم سليمان وجنوده، ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك.

والنمل من أحرص الحيوان، ويضرب بحرصه المثل، ولها صدق الشم، وبعد الهمة، وشدة الحرص، والجرأة على محاولة نقل ما هو أضعاف أضعاف وزنها. وليس للنمل قائد ورئيس يديرها كما يكون للنحل، إلا أن لها رائداً يطلب الرزق، فإذا أوقف عليه أخبر أصحابه، فيخرجن مجتمعات، وكل نملة تجتهد في صلاح العامة منها غير مختلصة من الحب شيئاً لنفسها دون صواحبها. وهذا الهدهد من أهدي الحيوان، وأبصره بمواضع الماء تحت الأرض، ولا يراه غيره.

ومن هدايته ما قصه الله عنه في كتابه؛ مما قاله الهدهد لسليمان-عليه السلام-وقد فقده، وتوعده، فلما جاءه بادره بالعدر قبل أن ينذره سليمان بالعقوبة، وخطبه خطاباً هيّجه به على الإصغاء إليه والقبول منه فقال: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ وفي ضمن هذا أني أتيتك بأمر قد عرفته بحيث أحطت به، وهو خبر عظيم له شأن؛ فلذلك قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ (النمل: ٢٢).

والنبا هو الخبر الذي شأن، والنفوس متطلعة إلى معرفته، ثم وصفه بأنه نبا يقين لاشك فيه ولا ريب، فهذه مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله بذلك النبا استفرغت قلب المخبر لتلقي الخبر، وأوجبته له التشوق إلى سماعه ومعرفته، وهذا نوع من براعة الاستهلال، وخطاب التهييج.

ثم أخبر بباقي القصة عن بلقيس وقومها، وبين بطلان ما هم عليه من عبادة الشمس.

وهذا الحمام من أعجب الحيوان هداية، قال الشافعي: أعقل الطير.

وَبُرْدُ الْحَمَامِ هِيَ الَّتِي تَحْمِلُ الرِّسَالَةَ وَالْكَتَبَ ، وَرَبَّمَا زَادَتْ قِيَمَةَ الطَّيْرِ مِنْهَا عَلَى قِيَمَةِ الْمَمْلُوكِ وَالْعَبْدِ؛ فَإِنَّ الْغَرَضَ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ لَا يَحْصُلُ بِمَمْلُوكٍ وَلَا بِحَيْوَانٍ غَيْرِهِ . وَهَدَايَةُ الْحَمَامِ عَلَى قَدْرِ التَّعْلِيمِ وَالتَّوْطِينِ ، وَهُوَ مُوصُوفٌ بِالْيَمَنِ وَالْإِلْفِ لِلنَّاسِ ، وَيُحِبُّ النَّاسَ وَيُحِبُّونَهُ ، وَيَأْلَفُ الْمَكَانَ ، وَيَثْبِتُ عَلَى الْعَهْدِ وَالْوَفَاءِ لِصَاحِبِهِ ، وَإِنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ ، وَيَعُودُ إِلَيْهِ مَسَافَاتٍ بَعِيدَةً ، وَرَبَّمَا صُدَّ فَتَرَكَ وَطَنَهُ عَشْرَ حَجَجٍ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى الْوَفَاءِ حَتَّى إِذَا وَجَدَ فُرْصَةً وَاسْتِطَاعَةَ عَادَ إِلَيْهِ .

أَمَّا طَرِيقَةُ سِفَادِهِ وَجَمْعُهُ عَشَّةً ، وَاعْتِنَائُهُ بَبَيْضِهِ وَصِغَارِهِ فَهِيَ مِنْ أَعْجَابِ الْعَجَبِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي كِتَابِهِ (شَفَاءُ الْعَلِيلِ) أَوْجَهَ شَبَهٍ كَثِيرَةً بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَمَامِ .

وَمِنْ عَجِيبِ هَدَايَةِ الدِّيكِ الشَّابِّ أَنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ لَهُ حَبٌّ لَمْ يَأْكُلْهُ ، حَتَّى إِذَا هَرَمَ وَشَاخَ أَكَلَهُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ ، كَمَا قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : إِنَّ إِبَاسَ بْنَ مَعَاوِيَةَ مَرَّ بِدِيكٍ يَنْقَرُ حَبًّا وَلَا يَفْرُقُهُ فَقَالَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَرْمًا؛ فَإِنَّ الدِّيكَ الشَّابَّ يَفْرُقُ الْحَبَّ؛ لِيَجْتَمَعَ الدِّجَاجُ فَتَصِيبَ مِنْهُ ، وَالْهَرَمُ قَدْ فَنِيَتْ رَغْبَتُهُ فَلَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا نَفْسُهُ .

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِ الثَّلَبِ أَنْ ذُبًّا أَكَلَ أَوْلَادَهُ وَكَانَ لِلذُّبِّ أَوْلَادٌ ، وَهَنَّاكَ زَبِيَّةٌ ، فَعَمِدَ الثَّلَبُ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِيهَا ، وَحَفَرَ فِيهَا سَرْدَابًا يُخْرِجُ مِنْهُ ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى أَوْلَادِ الذُّبِّ ، فَقَتَلَهُمْ وَجَلَسَ نَاحِيَةَ يَنْتَظِرُ الذُّبَّ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ وَعَرَفَ أَنَّهَا فَعَلَّتْهُ هَرَبٌ قُدَّامَهُ وَهُوَ يَتْبَعُهُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الزَّبِيَّةِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السَّرْدَابِ ، فَأَلْقَى الذُّبَّ نَفْسَهُ وَرَاءَهُ ، فَلَمْ يَجِدْهُ وَلَمْ يَطِقِ الْخُرُوجَ ، فَقَتَلَهُ أَهْلُ النَّاحِيَةِ .

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا وَمَعَهُ دَجَاجَتَانِ ، فَاخْتَفَى لَهُ ، وَخَطَفَ إِحْدَاهُمَا ، وَفَرَّ ثُمَّ أَعْمَلَ فِكْرَهُ فِي أَخْذِ الثَّانِيَةِ ، فَتَرَاءَى لِصَاحِبِهَا مِنْ بَعِيدٍ ، وَفِي فَمِهِ مَا يَشْبَهُ الطَّائِرَ ، وَأَطْمَعَهُ فِي اسْتِعَادَتِهَا بِأَنْ تَرَكَهُ وَفَرَ ، فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّهَا الدِّجَاجَةُ ، فَأَسْرَعَ نَحْوَهَا ، فَخَالَفَهُ الثَّلَبُ إِلَى أُخْتِهَا فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ .

ومن هداية الحمار-وهو من أبلد الحيوان-أن الرجل يسير به ، ويأتي به إلى منزله في البعد في ليلة مظلمة ، فيعرف المنزل ، فإذا خُلِّيَ جاء إليه .
ثم إنه يُفَرِّق بين الصوت الذي يُسْتَوْقَفُ به ، وبين الصوت الذي يُحَثُّ به على السير .

ومن عجيب أمر الفأرة أنها إذا شربت من الزيت الذي في أعلى الجرة فَفَقَصَ ، وَعَزَّ عليها الوصولُ إليه-ذهبت وحملت في أفواها ماءً وَصَبَّتُهُ في الجرة؛ حتى يرتفع الزيت فتشربه .

وكثير من العقلاء يتعلم من الحيوانات البهم أموراً تنفعه في معاشه وأخلاقه ، وصناعته ، وحربه ، وحزمه ، وصبره .

وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس ، قال-تعالى-: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان : ٤٤) .
قال أبو جعفر الباقر : « والله ما اقتصر على تشبيههم بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلاً منها » .

قيل لرجل : مَنْ علمك البكور في حوائجك أول النهار لا تخل به ؟ .
قال : مَنْ علم الطير تغدو خماصاً كل بكرة في طلب أقواتها على قربها وبعدها لا تسأم ذلك ، ولا تخاف ما يعرض لها في الجو والأرض .
وقيل لآخر : مَنْ عَلَّمَكَ السكون ، والتحفظ ، والتماوت حتى تظفر بإريك ، فإذا ظفرت به وثبت وثوب الأسد على فريسته ؟ .

فقال : الذي علم الهرة أن ترصد جحر الفأرة فلا تتحرك ، ولا تتلوى ، ولا تحتلج ، حتى كأنها ميتة ، حتى إذا برزت الفأرة وَكَبَّتْ عليها كالأسد .
وقيل لآخر : مَنْ عَلَّمَكَ حسن الإيثار والبذل والسماحة ؟ .

قال : مَنْ علم الديك يصادف الحبة في الأرض وهو يحتاج إليها ولا يأكلها ، بل يستدعي الدجاج ، ويطلبهن طلباً حثيثاً حتى تجيء الواحدة منهن ، فتلقطها وهو

مسرور بذلك طيب النفس به ، وإذا وضع له الحب الكثير فرّقه ها هنا وها هنا وإن لم يكن له دجاج؛ لأن طبعه قد ألف البذل والجود؛ فهو يرى أنه من اللؤم أن يستبد وحده بالطعام.

وَمَنْ عَلَّمَ الْأَسَدَ إِذَا مَشَى وَخَافَ أَنْ يُقْتَفَى أَثَرَهُ وَيُطْلَبَ؟ عَقَى مِشِيَّتَهُ بِذَنْبِهِ؟!
وَمَنْ أَلْهَمَ كِرَامَ الْأَسْوَدِ وَأَشْرَافَهَا أَنْ لَا تَأْكُلَ إِلَّا مِنْ فَرِيستِهَا ، وَإِذَا مَرَّ بِفَرِيستَةٍ غَيْرِهِ لَمْ يَدْنُ مِنْهَا وَلَوْ جَهِدَهُ الْجُوعُ؟!.

وَمَنْ عَلَّمَ الْأَنْثَى مِنَ الْفَيْلَةِ إِذَا دَنَا وَقَتُّ وِلادَتِهَا أَنْ تَأْتِيَ إِلَى الْمَاءِ ، فَتَلَدَ فِيهِ؛ لِأَنَّهَا دُونَ الْحَيَوَانَاتِ لَا تَلدُ إِلَّا قَائِمَةً؛ لِأَنَّ أَوْصَالَهَا عَلَى خِلافِ أَوْصَالِ الْحَيَوَانَ ، وَهِيَ عَالِيَةٌ ، فَتَخَافُ أَنْ تَسْقُطَ عَلَى الْأَرْضِ فَيَنْصَدِعُ ، أَوْ يَنْشَقُّ ، فَتَأْتِي مَاءً وَسَطًا تَضَعُهُ فِيهِ يَكُونُ كَالْفَرَاشِ اللَّيْنِ وَالوِطَاءِ النَّاعِمِ؟!.

وَمَنْ عَلَّمَ الذَّبَابَ إِذَا سَقَطَ فِي مَائِعٍ أَنْ يَتَّقِيَ بِالْجَنَاحِ الَّذِي فِيهِ الدَّاءُ دُونَ الْآخَرِ؟!
وَمَنْ عَلَّمَ الذَّبَّابَ إِذَا نَامَ أَنْ يَجْعَلَ النَّوْمَ نُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَيَنَامُ بِأَحَدِهِمَا حَتَّى إِذَا نَعَسَتِ الْآخَرَى نَامَ بِهَا ، وَفَتَحَ النَّائِمَةَ حَتَّى قِيلَ فِيهِ :

يَنَامُ بِأَحَدِي مَقْلَتِيهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْمَنَايَا فَهُوَ يَقْظَانُ نَائِمٌ

وهذا باب واسع جداً ، ويكفي فيه قوله -سبحانه وتعالى- : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

قال مجاهد: «أمم أمثالكم» أصناف مصنفة تُعرف بأسمائها. وقال الزجاج: «أمم أمثالكم» في أنها تبعث ، وقال ابن قتيبة: «أمم أمثالكم» في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقّي المهالك ، وقال سفيان بن عيينة: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من البهائم؛ فمنهم من يهتصر اهتصار الأسد ، ومنهم يعدو كعدو الذئب ، ومنهم من ينبح نباح الكلب ، ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس ، ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقى إليها الطعام الطيب لعافتة ، فإذا قام الرجل من رجيعه ولغت فيه؛

فلذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمةً لم يحفظ منها واحدة وإن أخطأ رجلٌ ترواه وحفظه.

وهذا كله من أدل الدلائل على الخالق لها- سبحانه وتعالى- وعلى إتقان صنعه، وعجيب تدبيره، ولطيف حكمته؛ فإن فيما أودعها من غرائب المعارف، وغوامض الحيل، وحسن التدبير، والتأتي لما تريده- ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته، ومعرفة حكمته، وقدرته، وما يعلم به كل عاقل أنه لم يخلق عبثاً، ولم يترك سدىً، وأن له حكمةً باهرةً، وآيةً ظاهرةً، وبرهاناً قاطعاً، يدل على أنه رب كل شيءٍ ومليكه، وأنه المنفرد بكل كمالٍ دون خلقه، وأنه على كل شيءٍ قدير، وبكل شيءٍ عليم^(١).

هـ- دلالة الآفاق:

ومن آياته الدالة على وحدانيته دلالة الآفاق التي يراها كل أحد؛ العالم والجاهل، المؤمن والكافر، فلو تأمل الإنسان بعين البصيرة والتدبر والتفكير- لأدرك عظمة من أنشأها، ولدعاه ذلك إلى عبادته وحده لا شريك له.

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (فصلت: ٥٣): «وقد فعل- تعالى- فإنه أرى عباده من الآيات ما به تبين أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، الخاذل لمن يشاء»^(٢).

وقال رحمه الله في موطن آخر- أيضاً: «كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع الكائنات- علم أنها خلقت للحق بالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين، ودلالات على جميع ما أخبر به عن نفسه ووحدانيته، وما أخبر به الرسل عن اليوم الآخر، وأنها مدبرات، مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون،

(١) انظر شفاء العليل، ص ١٤٧-١٦٤.

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده ص ٧٢-٧٣.

وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا هو ولا رب سواه»^(١).

وقال رحمه في موطن آخر: «فهذا خبره-تعالى- عن أمور مُسْتَقْبَلَةٍ أنه يُري عباده من الآيات والبراهين في الآفاق وفي الأنفس ما يدلهم على أن القرآن حق، والرسول حق، وما جاء به هو الحق»^(٢).

وفي كل عصر من العصور يُطلع الله عباده على أمور عظيمة في هذا الكون الفسيح.

وفي العصور المتأخرة ظهر العديد من الاكتشافات والمخترعات والحقائق العلمية، ولا يزال الباحثون يكتشفون في كل يوم سرّاً من أسرار هذا الكون العظيم، مما جعلهم يقفون حائرين واجمين معترفين بالتقصير والعجز، وأن هناك عوالم أخرى مجهولة، وأخرى لم تكتشف بعد.

وخلاصة القول في هذا أن كل ما في الآفاق يدل دلالة قاطعة على وجود مدبر حكيم، رب عليم، مستحق للعبادة، ولكن:

إذا لم يكن للمرء عينٌ صحيحةٌ فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

و-عبودية الكائنات^(٣):

فإن الله سبحانه-قد خلق جميع الكائنات؛ إنسها، وحياتها، وملائكتها، وحيوانها، وجمادها، ونباتها، وغيرها من الكائنات- لعبادته-سبحانه-وفطرها على توحيده، والاعتراف بألوهيته، والإقرار بفقرها وحاجتها وخضوعها وصمودها له-جل وعلا-.

(١) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده ص٧٢-٧٣.

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده ص٧٢-٧٣.

(٣) انظر عبودية الكائنات لرب العالمين، للشيخ فريد التوني، دار الضياء، ص٢٣٤، و٢٤٥.

فكل هذه الكائنات تقوم بعبادة الله-عز وجل-ولا يُخِلُّ بذلك إلا الإنسان المعاند الزائع عن شرع الله-سبحانه وتعالى-المخالف لنظام هذا الكون المحكم البديع؛ الذي ما قام إلا على عبودية الله.

هذا وتختلف العبوديات من مخلوق إلى مخلوق.

فمن تلك العبوديات: عبودية الإنس، فهي أشرفها وأفضلها.

وأشرف ما فيها عبودية الأنبياء لربهم، وقيامهم بالدعوة والجهاد وغير ذلك، ثم عبودية أتباعهم وأتباع أتباعهم.

ومن ذلك: عبودية الملائكة، والجن وهذا ليس بمستغرب.

أما الغريب حقاً فهو عبودية الجمادات والحيوانات، التي يعتقد كثير من الناس أنها لا تعقل ولا تدرك، وليس لها أي عبودية لله.

إن هذا الكون الواسع بما فيه من الكائنات كله يخضع لخالقه وبارئه، ويؤدي عبودية له-سبحانه وتعالى-فلقد ثبت لهذه الكائنات في الكتاب والسنة طاعات كثيرة

كالسجود، والتسبيح، والصلاة، والاستغفار، والإسلام، والإشفاق، وغيرها.

فعن سجود هذه الكائنات يقول الله-عز وجل-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ (الحج: ١٨).

وليس بالضرورة أن يكون هذا السجود مثل سجود الأدميين من المسلمين؛ فسجود كلٍّ أحدهم بحسبه.

وأما عن تسبيح الكائنات فذلك كما في قوله-تعالى-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤).

فالكائنات كلها تسبح خالقها تسبيحاً لا نفقهه نحن البشر، وعدم معرفتنا به ليس

دليلاً على نفيه؛ فلقد خص الله بعض خلقه بالاطلاع على تسبيح بعض الكائنات، وأفهمه تسبيحها كداود-عليه السلام-

أما صلاتها فقد قال الله-تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ (النور: ٤١). فكلها يصلي، ويسبح لله، وليس بالضرورة أن نفهم ذلك.

أما عن استغفارها ففي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء»^(١). أما عن إسلامها لله-تعالى- فقد قال-عز وجل-: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٣). إلى غير ذلك من العبوديات المتنوعة التي لا يتسع المقام لذكرها^(٢).

وهناك كتاب صدر مؤخراً بعنوان (عبودية الكائنات لرب العالمين)^(٣) حيث تكلم مؤلفه على عبودية الكائنات بالتفصيل، ومن ضمن ما تكلم عليه: سجود الدواب، وإشفاقها من يوم القيامة، وراحتها من موت الفاجر، وعن كلام الدواب، كالبقرة، والجمل، والحيتان، والديك، والذئب، والفرس، والنمل، والهدهد. كما تحدث عن عبودية الشجر، وسجودها، وسماعها للأذان المؤذن، وتلبيتها في الحج أو العمرة، وعن ولاء الشجر وبرائه، وعن موقف الشجرة من النبي صلى الله عليه وسلم وسلامها عليه، وانقيادها له، وحنينها إليه، وشهادتها له بالتوحيد، ومواقفها مع المسلمين، كما تحدث عن عبودية الجبال، وسجودها لله، وتسبيحها له، وعن تلبية الحجر، وسماعه للأذان، وعن خشية الجبال، وخوفها، وعرض

(١) ابن ماجه، ٨١/١ برقم (٢٢٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ١٠٧٩/٢ رقم (٦٢٩٧).

(٢) انظر جامع الرسائل لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم، ١/١-٤٥.

(٣) الكتاب لفريد التوني، وهو رسالة علمية.

الأمانة عليها، وسرورها، وفرحها بمن يذكر الله عليها، وعن مواقف الجبال مع بعض الأنبياء-عليهم السلام-.

كما تحدث عن عبودية السموات والأرض وتسيبها لله، وإنكارها قول النصارى: إن المسيح ابن الله، وبكائها على فراق المؤمنين الصالحين. وتحدث أيضاً عن عبودية الملائكة والإنس والجن، كل ذلك مقرون بالأدلة من الكتاب والسنة.

ومن هنا يتبين لنا أن المخلوقات مفتقرة إلى الله-سبحانه وتعالى-«وأن فقرها وحاجتها إليه وصف ذاتي لهذه الموجودات المخلوقة، كما أن الغنى وصف ذاتي للرب الخالق»^(١).

فصمود الكائنات كلها وفقرها إلى الله يدل دلالة واضحة على وحدانيته-سبحانه وتعالى-.

ز-اختلاف الطعوم والألوان والروائح في النبات:

وهذا دليل حسي على وحدانية الله؛ فالماء ينزل من السماء عديم اللون والطعم والرائحة، ينزل على الأرض الجرداء، ثم يخرج-بإذن الله-من جراء ذلك نباتات مختلفة في اللون، والطعم، والرائحة، فبعضها حلو، وبعضها حامض، وبعضها مُزُّ، وبعضها أخضر، وبعضها أصفر، وبعضها أسود.

بل إن النوع الواحد من بعض الثمار متنوع تنوعاً عجبياً؛ ومن ذلك على سبيل المثال (العنب) فمنه جنات معروشات وغير معروشات، ومنه الحلو، ومنه الحامض، ومنه الحامض الحلو، ومنه الأخضر، ومنه الأحمر، ومنه الأسود، ومنه الطويل، ومنه المدور إلى غير ذلك.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٩/٢.

وقل مثل ذلك في النخل؛ فمنها ما تكون حلاوته بسراً أكثر من حلاوته رطباً والعكس بالعكس، ومنه الأسود، ومنه الأصفر، ومنه الطويل، ومنه المدور، كل ذلك وهو يسقى بماء واحد.

فمن الذي فضّل بعضها على بعض في الأكل؟ ومن الذي أودعها هذه المزايا من الألوان والأطعمة؟.

إنه الله ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ (الأعلى: ٣-٥).

ح- اختلاف الألسن:

فنحن نرى اختلاف الألسن واللغات من شعب إلى شعب، ومن إنسان إلى إنسان، فمن الذي علم الإنسان البيان؟ ومن الذي يعلم تلك اللغات جميعاً، ويحصي ما يقولون فلا تختلط عليه؟.

إنه الله الواحد الأحد.

فاختلاف الألسن آية عظيمة تدل على وحدانيته-سبحانه وتعالى-^(١).



(١) انظر تفاصيل ما مضى في الجزء الأول من مفاتيح دار السعادة لابن القيم.

٥ - دلالة أسمائه وصفاته^(١)

وهذه هي طريقة الخواص يستدلون بالله على أفعاله، فإن قيل: كيف يُستدل بأسمائه وصفاته على استحقاقه للوحدانية، فإن ذلك لا يعهد في الاصطلاح؟ فالجواب: إن الله قد أودع الفطرة التي لم تنتجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل أنه سبحانه-الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم مما عرفوه منه. ومن كماله المقدس شهادته على كل شيء، وإطلاعه عليه؛ بحيث لا يغيب عنه ذرة في السموات ولا في الأرض باطنًا وظاهرًا. ومن هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره، ويجعلوا معه إلهاً آخر؟!.

وكيف يليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك، ويؤيده، ويعلي شأنه، ويجيب دعوته، ويهلك عدوه، ويظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر؟!.

فأنت ترى من خلال ما مضى أن الاستدلال جرى باسم الله (الشهيد) لتقرير الوحدانية وصدق الرسل.

أما تقرير الوحدانية فإن الإيمان باسم الشهيد يقتضي المراقبة الدائمة لله-عز وجل- فكيف يليق بالعباد أن يعصي الله وهو يعلم أن الله مطلع عليه في كل أحواله؟. وهذه المراقبة هي أعلى مراتب الدين؛ لأنها مرتبة الإحسان.

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٩٥-٩٦.

أما صدق الرسل من خلال الإيمان بهذا الاسم (الشهيد) ؟ فوجهه أن مَنْ كمال الله- سبحانه- أنه لا يعزب عنه شيءٌ، فكيف يليق بمن هذا شأنه أن يقر من يكذب عليه ؟ بل ويؤيده وينصره ويهلك عدوه، بل ويعلي ذكره ودعوته ؟!. هذا لا يليق، فلو كان الرسل كاذبين لأخذهم الله كما أخذ الدجالين في الماضي والحاضر كمسيلمة والقادياني وغيرهما.

ومن هنا نعلم صدق الرسل من خلال الإيمان باسم (الشهيد). ولهذا قال بعض أهل العلم إن إنكار رسالة الرسول ﷺ جحد للرب بالكلية. وهذا باب من أبواب الاستدلال على وحدانية الله.

والقرآن مملوء من هذه الطريق، ومن الأمثلة على ذلك قوله
 -تعالى-: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ
 الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الحشر: ٢٣).



ثمرات الإيمان بالله

للإيمان بالله ثمرات جليلة، وفوائد جمّة، وفضائل كثيرة، منها:

١- الأمن التام والاهتداء التام: فبحسب الإيمان يحصل الأمن والاهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة قال-عز وجل-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢).

٢- الإيمان بالله طاعة لله-عز وجل-: فالله أمرنا بالإيمان به، وطاعته واجبة، وهي أصل كل خير، قال-تعالى-: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ (البقرة: ١٣٦).

٣- الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة: قال-عز وجل-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٥).

٤- دخول الجنان والنجاة من النيران: قال-تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (محمد: ١٢).

٥- الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب-إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله-عز وجل- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧).

قال ابن كثير رحمته الله في شرح هذه الآية: «وهذا وعد من الله-تعالى- لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب الله-تعالى- وسنة نبيه صلوات الله عليه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا المأمور به مشروع من عند الله-بأن يحياه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة.

والحياة الطيبة تشتمل على وجوه الراحة من أي جهة كانت»^(١).

٦- حلول الخيرات ونزول البركات: قال-تعالى-: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).
 ٧- الهداية لكل خير: قال-تعالى-: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١).
 وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ (يونس: ٩).

٨- زيادة الإيمان والثبات عليه: فالمؤمنون يتقبلون من نعمة إلى نعمة، وأعظم نعمة يجودونها من الإيمان بالله هي أن يثبتهم الله على الحق، ويزيد إيمانهم، فالثبات على الإيمان سبب لزيادته قال-تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧).

٩- الفوز بولاية الله-عز وجل-: وأكرم بها من ولاية، قال-تعالى-: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: ١١).
 ١٠- السلامة من الخسارة: قال-تعالى-: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ (العصر: ١-٣).

١١- الإيمان بالله سبب لدفاع الله عن أهله: قال-عز وجل-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج: ٣٨).

١٢- تكفير السيئات: قال-تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: ٢).

(١) تفسير ابن كثير ٥٦٦/٢.

١٣- الرفعة والعلو: قال-تعالى- ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

١٤- إخلاص العمل: فلا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله، ولعباد الله، ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان.

١٥- قوة التوكل: فالإيمان بالله يوجب للعبد قوة التوكل على الله، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣).

١٦- الشجاعة: فالإيمان بالله يبعث على الشجاعة والإقدام؛ لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله، والخشية له، وتعظيمه، وإجلاله.

وإذا كان كذلك ذهب خوف الخلق من قلبه كليةً؛ فالجزء من جنس العمل؛ فمن خاف الله آمنه من كل شيء، وجعل مخاوفه أمناً والعكس بالعكس.

١٧- حسن الخلق: فالإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس، وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انحرف أضر ذلك في أخلاق العبد انحرافاً بحسب بُعد عن الإيمان.

١٨- الإعانة على تحمل المشاق: فالإيمان أكبر عون على تحمل المشاق، والقيام بالطاعات، وترك الفواحش والمنكرات.

١٩- الذكر الحسن: فالإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبراً عند الخلق أميناً.

٢٠- عزة النفس: فالإيمان يوجب للعبد العفة، وعزة النفس، والترفع عن إراقة ماء الوجه؛ تذلاً للمخلوقين.

٢١- أن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الإسلام وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله.

هذا شيء من ثمرات الإيمان ، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله فرع عن الإيمان ،
ومترتب عليه ، والهالك والنقصان إنما يكون بفقد ، الإيمان ، أو نقصه^(١).



(١) انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، لابن سعدي ، ١٣٠-١٣٤.

ما ضد الإيمان ؟

يضاد الإيمان بالله-سبحانه وتعالى-الكفر بالله، أو بأي نوع من أنواع التوحيد، أو أن يأتي الإنسان بأي ناقض من نواقض الإسلام. وفي هذا الموضوع سيكون الحديث عن ظاهرة خطيرة تنافي الإيمان بالله، وتعارضه معارضة كلية، ألا وهي ظاهرة الإلحاد، تلك الظاهرة القديمة الجديدة، فما معنى الإلحاد؟ وما أسبابه؟ وكيف دخل بلاد المسلمين؟ وما آثاره؟.

«معنى الإلحاد»^(١) :

الإلحاد في لغة العرب: هو الميل.

وفي الشرع: هو الميل عما يجب اعتقاده أو عمله.

المقصود بالإلحاد هنا الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، والتكذيب بالبعث، والجنة، والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط، وتكذيب الرسل، وإنكار وجود الرب-تبارك وتعالى-.

«انتشاره» :

الإلحاد اليوم أصبح ظاهرة عالمية، فالعالم الغربي في أوروبا وأمريكا-وإن كان وارثاً في الظاهرة للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار-إلا أنه في الأغلب-ترك هذه العقيدة الآن وأصبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فحسب، وأصبحت الكنيسة مجرد تراثٍ تافهٍ جداً؛ وقد أصبح الإلحاد هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوروبية والأمريكية، ويعبر عن ذلك بالعلمانية تارة، وباللادينية أخرى.

(١) انظر الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ص ٨-٩.

أما في الشرق فقد قامت أكبر دولة على الإلحاد، وهي الدولة الروسية، التي تحمل العقيدة الشيوعية، التي تحمل في بنودها رفض الغيب، والنظر إلى الحياة كلها وفي جميع الجوانب من منظور مادي بحت.

«أسبابه»^(١) :

لقد انتشر الإلحاد ومد رواقه في كثير من بلدان العالم، ومنذ مائتي عام لم تكن مشكلة الإلحاد بهذه الحدة والانتشار، ولكن في القرنين الأخيرين ظهرت عوامل عديدة جعلت من الإلحاد والكفر ديناً عاماً منتشرًا.

وتلك العوامل منها ما يعود إلى المجتمع الذي عاشت فيه منها ما يعود إلى شخصيات مؤسسها المنحرفة.

وفيما يلي ذكرٌ لشيء من تلك الأسباب بإجمال؛ إذ المقام ليس مقامَ بسطِها، فمن ذلك :

١- أنها كانت ردة فعل للطغيان الكنسي، الذي حارب العلم، وحارب العقل، وأعان الحكام الظلمة، ومكّن للخرافة، وفرض على الناس الضرائب والعشور، وما إلى ذلك مما قامت به الكنيسة الأوروبية.

٢- مظالم العالم الرأسمالي، فكان أن قامت الحركة الإلحادية الشيوعية كردة فعل-أيضاً-للرأسمالية.

٣- كثرة المشكلات في المجتمع الأوروبي، وفقدان التوازن فيه اجتماعياً واقتصادياً خصوصاً في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٠-١٨، وانظر إلى كتاب: بعض أسباب الإلحاد وأثر الإيمان بالله تعالى، للدكتور عبدالحليم أحمددي، وانظر إلى: نقد أصول الشيوعية، للشيخ صالح بن سعد اللحيدان، ص ٤٠، والشيوعية خلاصة ضروب الكفر والموبقات، لأحمد عبدالغفور عطار، ص ٣١-٣٢، وحكم الاشتراكية في الإسلام، للشيخ عبدالعزيز البدري، ص ٥٨، وانظر الشيوعية للكاتب.

- ٤- غياب المنهج الصحيح؛ وهو دين الإسلام عن الساحة التي نشأ فيها الإلحاد، وتقصير المسلمين في أداء رسالتهم في قوامة المجتمع البشري، وانتشاله من الهاوية.
- ٥- كثرة الاتجاهات، والنظريات، والمبانيء التي وجدت في المجتمع الأوروبي.
- ٦- الخواء الروحي لدى أوروبا؛ إذ الكنيسة لا تقدم منهجاً يزكي النفس، ويجلب السعادة والطمأنينة للأفراد والمجتمعات؛ مما جعل النفوس تتعلق بخيط العنكبوت، وتشبث بعود الثمام؛ لتنجو مما هي فيه من الحيرة، والاضطراب، والقلق.
- ٧- الاستعمار وما خلفه من دمار؛ فله أثره الواضح في انحطاط الشعوب المستعمرة، وذلك عن طريق الكتب، وقفل باب الحرية، الأمر الذي أفسح المجال للإلحاد.
- ٨- المكر اليهودي على العالم كله، وتآمره عليه لإفساده؛ تهيئاً للسيطرة عليه، حيث استغلوا هذه المذاهب ومكنوا لها.
- ٩- الانقلاب الصناعي، وما يقوم به الشيوعيون من بحثٍ علميٍّ جادٍ مستندٍ على أدلةٍ مغريةٍ تقول: بأن الدين خرافة.
- ١٠- ملذات الحياة، ومباهج الحضارة، ونسيان الخالق؛ فلقد فتح العلمُ الماديُّ أبواباً عظيمةً من أبواب الرفاهية والترف، فالمرائب الفارهة الفخمة؛ من سيارات، وقطارات، وبواخرٍ وطائراتٍ، كذلك الملابس، والمطاعم، ووسائل التسلية، كل ذلك جعل الغفلة تستحكم على النفوس ولا تشعر بالعاقبة، مما فتح المجال لترويج أي مبدأ.
- ١١- انحراف مؤسسي الشيوعية، وشذوذهم؛ فهذا ماركس اليهودي-على سبيل المثال- كان حبراً يهودياً، وكان مُخففاً في شؤون حياته الخاصة، وكان ذا طبيعة ميالة للهدم والفساد.

أضف إلى ذلك ما كان عليه من فسادٍ خلقي وسلوكي، كذلك موت ابنتيه متحرتين، كل هذه العوامل تحركت في نفس هذا المجرم، فأخرجت أكلها النتن القبيح.

وقل مثل ذلك أو أشد في شأن زعماء الشيوعية كلينين، وستالين، وخرتشوف، وغيرهم.

وبالجملمة فأقل ما يقال عن الإلحاد أنه عقوبةٌ إلهيةٌ للبشرية بسبب تماديها في الغواية والضلال.

« كيف دخل الإلحاد بلاد المسلمين »؟ ^(١) :

لقد دخل الإلحاد في كثير من بلاد المسلمين وما كان له أن يدخل، إلا أن هناك أسباباً عديدة مكنت لدخوله في بلاد المسلمين منها:

١- انحراف كثير من المسلمين عن دينهم، ونسيانهم حظاً ما ذكروا به، وإلا فإن الصبر والتقوى كفيلا نبرد كل باطل ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ (آل عمران: ١٢٠).

٢- هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوروبية، فما كاد الأوروبيون يمتلكون القوة المادية، ويستخدمون الآلة، وبينون المصانع-حتى اتجهوا إلى دول العالم الثالث؛ بحثاً عن الأسواق لبيع منتجاتهم الصناعي، وجلباً للمواد الخام اللازمة للصناعة.

ولما كانت هذه الدول تطمع في الحصول على ما تريد بأبخس الأثمان، أو بلا ثمن أصلاً-فإنها استخدمت قوتها العسكرية.

ولما كان العالم الإسلامي في غاية التخلف عسكرياً، وسياسياً وصناعياً-لم يصمد أمام تلك الهجمة، وكان للهزيمة العسكرية أثرها في زعزعة العقيدة، ووجود

(١) انظر السرطان الأحمر، د. عبدالله عزام، من ص ٩٩-١٠٦، والإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، والشيوعية للكاتب.

الشعور بالنقص، وتقليد الغالب، والتشبه بأخلاقه؛ ظناً منهم-لفرط جهلهم-أن أوروبا لم تتطور إلا عندما اعتنقت الإلحاد، ورفضت الدين.

٣- الاستعمار الغربي لكثير من بلاد المسلمين؛ فلقد عانى المسلمون من الاستعمار وويلاته، حيث امتص الغرب دماء المسلمين، وخيراتهم، وأوطانهم.

٤- تركيز الغرب على إفساد التعليم، والإعلام، والمرأة، وتشويه صورة علماء المسلمين، مع الحرص على نشر الفوضى الجنسية، والإباحية والعري، حيث غرق كثير من الشباب في هذا المستنقع الآسن، والإلحاد لا يُفَرِّخُ إلا في مثل هذا الجو.

٥- انحسار عقيدة الولاء والبراء عند كثير من المسلمين.

٦- انتشار الجهل بدين الإسلام.

٧- انتشار المذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والطرق الصوفية المخدلة؛ التي تقوم على الدجل، والخرافة، وعبادة القبور والمبالغة في قصص الكرامات، كل ذلك استغله الملاحدة، ونفذوا من خلاله إلى الطعن في الدين.

٨- الابتعاث وما فيه من مفاسد؛ حيث يذهب إلى بلاد الكفر من هو خالي الوفاض في الغالب، فلا علم لديه، ولا ورع يزمه، ولا تقوى تردعه، فيعيش في تلك البلاد ويتأثر بما فيها من أفكار وأخلاق، وربما رجع بشهادة الدكتوراه بعد أن يفقد شهادة أن لا إله إلا الله.

٩- التقصير في جانب الدعوة إلى الله.

١٠- سقوط الخلافة الإسلامية.

١١- ترك فريضة الجهاد، والركون إلى ملذات الدنيا، والإخلاق إلى الراحة.

« الآثار المترتبة على الإلحاد »^(١) :

للإلحاد والكفر آثار سيئة، وثمرات منتنة على الأفراد والجماعات.

(١) انظر الكيد الأحمر للشيخ عبدالرحمن حنيفة الميداني، ص ٥٥٣ وما بعدها، والإلحاد أسباب هذه الظاهرة وأسباب علاجها للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ص ٣٠-٣٣.

فالأمم الكافرة تعيش حياة صعبة معقدة، ولا يجدون حلاً لمشكلاتهم، فهم يعاقبون في هذه الدنيا أشد أنواع العقوبات بالإضافة إلى ما سيلقونه يوم القيامة من النكال والعذاب والخلود في النار- إن ماتوا على كفرهم-.

وفيما يلي إجمال للآثار المترتبة على الإلحاد:

١- **القلق النفسي**، والاضطراب، والحرمان منطمأنينة القلب، وسكون النفس. قال- سبحانه وتعالى-: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه: ١٢٤).

كيف لا يصيب الملاحظة الهم والغم والقلق وفي داخل كل إنسان أسئلة محيرة؟ مَنْ خَلَقَ الحياة؟ وما نهايتها؟ وما بدايتها؟ وما سر هذه الروح التي لو خرجت لأصبح الإنسان جماداً؟.

من يجب عن تلك التساؤلات؟ الشيوعية؟! أنى لها؟!.

ثم إن هذه الأسئلة قد تهدأ في بعض الأحيان بسبب مشاغل الحياة إلا أنها ما تلبث أن تعود، وما نراه اليوم من كثرة الانتحارات، وإدمان المخدرات دليل على ذلك.

٢- **الأنانية والفردية**؛ نظراً لاشتغال كل فرد بنفسه؛ فلا رحمة ولا شفقة ولا عطف ولا حنان؛ أين ذلك كله من الرحمة في الإسلام؟ كما قال النبي- عليه الصلاة والسلام-: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »^(١).

٣- **حب الجريمة**؛ وهذا لا يحتاج إلى دليل فواقع الحياة في الغرب، ومعدلات السرقة والخطف- شاهد على ذلك.

٤- **هدم النظام الأسري**؛ وذلك أن الأسرة الكافرة تعيش في تفكك وتشرذم وضياع.

٥- **فساد المجتمع**؛ إذ أن فساد من فساد الأسرة.

(١) رواه البخاري رقم (١٣)، ومسلم رقم (٤٥).

٦- الرغبة في الانتحار؛ تخلصاً من الحياة:

والغريب في الأمر أن أكثرية المنتحرين ليسوا من الفقراء حتى يقال بسبب فقرهم، بل من الأغنياء المترفين، ومن الأطباء، بل ومن الأطباء النفسانيين الذي يظن بهم أنهم يجلبون السعادة للناس!.

والغريب أن الانتحار في بعض بلدان الغرب له مؤيدون، وهناك كتب تعين الذين يريدون الانتحار، وتبين لهم الطرق المناسبة!^(١).

٧- إرادة الانتقام، والظماً النفسي للتشفي من كل موجود.

٨- شيوع الكراهية والبغضاء.

٩- انعدام الثقة بين الناس؛ فكل شخص يخاف من أقرب الناس إليه، ولا أدل على ذلك مما حصل في ألمانيا الشرقية عندما انهارت فيها الشيوعية، حيث ذهب الناس إلى أقسام الشرطة؛ لينظروا ما كتب عنهم من تقارير من خلال العمليات التجسسية، فوجد كثير منهم أن الذي كتب عنه التقرير أمه أو أخته أو زوجته أو صديقه!.

١٠- شيوع الأوهام والخاوف.

١١- الإجرام السياسي: وهو من أعظم آثار الإلحاد؛ ذلك أن الأخلاق المادية الإلحادية التي جعلت قلب الإنسان يمتليء بالقسوة-دفعته إلى تطبيق ذلك عملياً، لذلك رأينا الدول الكبرى كيف تفعل بالدول المستعمرة من الإهانة، والإذلال، والقتل، والتشريد.

ولا أدل على ذلك مما فعله ستالين إبّان فترة حكمه؛ حيث قتل في تلك المدة أكثر من ثلاثين مليوناً.

هذا شيء من آثار الإلحاد المدمرة.

(١) انظر إلى كتاب: التوبة وظيفة العمر للكاتب، ففيه تفصيل لذلك.

ومن خلال ذلك يتبين لنا مدى ما تصل إليه البشرية عندما تبتعد عن وحي السماء، ويتبين لنا-أيضاً-مدى حاجتها إلى المنهج الصحيح الذي يقودها إلى سعادة الدارين.

ولا يتم ذلك إلا بالجد، والاجتهاد في الدعوة إلى الله، وبيان محاسن الإسلام، والتصدي لشبهات الملاحدة، مع العناية بتربية الناس على العقيدة الصحيحة، والأخلاق القويمية المستمدة من مشكاة الوحي، فيهدي الله بذلك من شاء هدايته ممن سبقت له الحسنَى.



توحيد الربوبية

تأليف الشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله-صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً-.

أما بعد :

فإن توحيد الربوبية مبحث مهم من مباحث العقيدة؛ ذلك أنه متعلق بأصل الأصول، وأوجب الواجبات وهو الإيمان بالله-عز وجل-فمما يتضمنه الإيمان بالله الإيمان بربوبيته، وتفرد بالخلق، والرزق، والتدبير.

ومما يدل على أهميته ما يثمره من الثمرات العظيمة؛ فالعلم به، والإيمان بمقتضاه يثمر إجلال الرب، وتعظيمه، ورجاءه، ومحبته والخوف منه إلى غير ذلك؛ فلا ينبغي التقليل من شأنه، ولا ترك الحديث عنه، كما لا ينبغي-في الوقت نفسه-أن يجعل الغاية في التوحيد، كما هو شأن أهل الكلام، بل إن الغاية في التوحيد هو توحيد الألوهية-كما سيأتي بيانه-.

ولعل فيما يلي من صفحات إيضاحاً لهذا المبحث، وذلك من خلال الوقفات التالية :

-تعريف توحيد الربوبية.

-معنى كلمة الرب.

-أسماء هذا النوع من التوحيد.

-أدلته.

-إنكار الربوبية.

-أنواع ربوبية الله على خلقه.

-توحيد الربوبية ليس هو الغاية في التوحيد.

- آثار توحيد الربوبية وفوائده.

- ما ضد توحيد الربوبية؟

- الفرق التي أشركت بالربوبية.

وأخيراً أسأل الله-تبارك وتعالى- أن ينفعنا بما نقول ونسمع ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه ، وأن يغفر لنا زللنا وخطأنا، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي : ص.ب: ٤٦٠

www.toislam.net

تعريف توحيد الربوبية

هو الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق للعالم، المحيي المميت، الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الدن، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سمي، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته^(١).
وهناك تعريف آخر مختصر وهو: توحيد الله بأفعاله.

(١) انظر تفسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله، ص ٣٣-٣٤، وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، ص ٥٥، وانظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، ص ١٦.

أسماء هذا النوع من التوحيد

لهذا النوع من التوحيد أسماء أخرى منها:

- ١- توحيد الربوبية كما سبق.
- ٢- التوحيد العلمي.
- ٣- التوحيد الخبري.
- ٤- توحيد المعرفة والإثبات.
- ٥- التوحيد الاعتقادي.

معنى كلمة الرب

كلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانٍ.

قال ابن منظور: «الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبّر، والمربي، والقيّم، والمنعم» .
 وقال: «ولا يطلق غير مضاف إلا على الله-عز وجل-وإذا أطلق على غيره أضيف، فقول: ربُّ كذا» .
 قال: «وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله-تعالى-وليس بالكثير، ولم يذكر في غير الشعر»^(١).

وقال: «ورب كل شيء: مالكة ومستحقه، وقيل: صاحبه.

ويقال: فلان رب هذا الشيء أي ملكه له.

وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُّ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن

(١) لسان العرب ٣٩٩/١-٤٠٠.

ربات الحجال»^(١).

أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال-تعالى-: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وقال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ (فاطر: ١٣).

قال ابن منظور: «الرب: هو الله-عز وجل-هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك»^(٢).

(١) لسان العرب ١/٣٣٩.

(٢) لسان العرب ١/٣٩٩.

أدلة توحيد الربوبية

أدلة توحيد الربوبية كثيرة متنوعة، تدل على تفرد الله بالربوبية على خلقه أجمعين، فقد جعل الله لخلقه أموراً لو تأملوها حق التأمل وتفكروا بها-لَدَلَّتْهُمْ إِلَى أَنْ هُنَاكَ خَالِقاً مَدْبِراً لِهَذَا الْكَوْنِ.

والقرآن مليء بذكر الأدلة على ربوبية الله، فمن ذلك قوله-تعالى-: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢)، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨)، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٢، ٨٣)، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤)، وقوله-تعالى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الروم: ٤٠).

ومن الدلالات على ربوبية الله على خلقه ما يلي:

١- دلالة الفطرة: ذلك أن الله-سبحانه-فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق، الرازق المدبر، المحيي المميت؛ فالإيمان بالربوبية أمر جبلي مركوز في فطرة كل إنسان، ولا يستطيع أحد دفعه ولا رفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله: «ولما كان الإقرار بالصانع فطرياً كما قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»^(١) الحديث-فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

معنى لا إله إلا الله ، فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد»^(١).

ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بتوحيد الربوبية مع شركهم بالألوهية.

ومما يدل على ذلك ما هو ماثوث في ثنايا أشعارهم ، ومن ذلك قول عنترة :

يا عبل أين من المنية مهربي إن كان ربي في السماء قضاها^(٢)

وقول زهير ابن أبي سلمى :

فلا تكتنن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتنم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم^(٣)

ولقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن كما في قوله : ﴿ وَكَلِمَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (العنكبوت : ٦١).

٢- دلالة الأنفس : فالنفس آية كبيرة من آيات الله الدالة على ربوبيته ، ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب لعلم أن وراء ذلك ربا حكيما خالقا قديرا.

قال تعالى :- ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (التغابن : ٣) ،

وقال : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (الشمس : ٧).

٣- دلالة الآفاق : كما قال سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت : ٥٣).

فلو تأمل الإنسان الآفاق وما أودع الله فيها من الغرائب والعجائب- لأدرك أن هناك خالقا لهذه الأكوان ، وأنه عليم حكيم^(٤).

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦/٢.

(٢) ديوان عنترة ص ٧٤.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٢٥.

(٤) انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة : ٧١-٧٢ للشيخ عبدالرزاق العباد ، والإيمان بالله

للكتاب ص ١٤-٥٩ ط ١.

إنكار الربوبية

لم ينكر توحيد الربوبية أحدٌ من البشر، إلا طائفة من الشذاذ، المكابرين، المعاندين، المنكرين لما هو متقرر في فطرهم؛ فإنكارهم إنما كان بألسنتهم مع اعترافهم بذلك في قرارة أنفسهم.

ومن أشهر من عرف بذلك فرعون؛ الذي قال لقومه-كما أخبر الله عنه-: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٢٤)، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨). وكلامه هذا مجرد دعوى لم يَقم عليها بينة، ولا دليل، بل كان هو نفسه غير مؤمن بما يقول.

قال-سبحانه وتعالى-على لسان موسى-عليه السلام-: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأُظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٢). وأخبر-عز وجل-وهو العليم بذات الصدور-أن كلام فرعون ودعواه لم يكن عن عقيدة ويقين، وإنما هو مكابرة وعناد، قال-تعالى-: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤).

ومن أنكر ذلك-أيضاً-الشيوعيون، فلقد أنكروا ربوبية الله، بل أنكروا وجوده-سبحانه وتعالى-بناءً على عقيدتهم الخبيثة الفاجرة التي تقوم على الكفر بالغيب، والإيمان بالمادة وحدها.

وهم في الحقيقة لم يزيدوا على أن سمووا الله بغير اسمه، بحيث ألها الطبيعة، ونعتوها بنعوت الكمال التي لا تليق بأحد إلا الله-عز وجل-، فقالوا: الطبيعة حكيمة، الطبيعة تخلق، إلى غير ذلك.

وكلامهم هذا باطل متهافت، بل إن أصحاب هذا المبدأ انشقوا على أنفسهم، ولعن بعضهم بعضاً، وكفّر بعضهم ببعض.

أنواع ربوبية الله على خلقه

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

- ١- الربوبية العامة: وهي لجميع الناس؛ برّهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم؛ وهي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.
- ٢- الربوبية الخاصة: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفّقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب؛ فإن مطالبهم كلّها داخلةٌ تحت ربوبيته الخاصة^(١).

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ ابن سعدي ٢٨٨/١.

توحيد الربوبية ليس هو الغاية في التوحيد

توحيد الربوبية حق، وأمره عظيم، ولا يصح إيمان العبد إذا لم يؤمن به، ولكن هذا النوع من أنواع التوحيد ليس هو الغاية التي جاءت بها الرسل، وأنزلت من أجلها الكتب، وليس الغاية التي من جاء بها فقد جاء بالتوحيد وكماله؛ ذلك أن الله أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحتها وغايتها، ولم يقتصد على مجرد الإقرار به كما هو غاية الطريقة الكلامية^(١).

أضف إلى ذلك أن المشركين كانوا مقرين به كما مر، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي وحده، بل لا بد من توحيد الألوهية. ثم إن توحيد الربوبية مركوز في الفطر كلها، فلو كان هو الغاية لما كان هناك حاجة من إرسال الرسل وإنزال الكتب.

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٢/٢.

آثار توحيد الربوبية وثمراته

للإيمان بالربوبية آثار عظيمة، وثمرات كثيرة، فإذا أيقن المؤمن أن له رباً خالقاً هو الله-تبارك وتعالى- وأن هذا الرب هو رب كل شيءٍ ومليكه وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض-أنست رُوحه بالله، واطمأنت نفسه بذكره، ولم تزلزله الأعاصير والفتن، وتوجه إلى ربه بالدعاء، والالتجاء، والاستعاذة، وكان دائماً خائفاً من تقصيره، وذنبه؛ لأنه يعلم قدرة ربه عليه، ووقوعه تحت قهره وسلطانه، فتحصل له بذلك التقوى، والتقوى رأس الأمر، بل هي غاية الوجود الإنساني^(١).

ولهذا قال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي الله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»^(٢).

ومن ثمراته أن الإنسان إذا علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقن أن الله بيده خزائن السموات والأرض، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع-قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى عما بأيديهم، وانبعث إلى أفراد الله بالدعاء والإرادة والقصد. ثم إذا علم أن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كله بيد الله-انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هيب، وتحرر من رق المخلوقين، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله-عز وجل-.. وهكذا نجد أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية. والكلام في مقتضيات الربوبية وما تثمره من ثمرات يفوق الحصر والعد، وما مضى إنما هو إشارات عابرة يقاس عليها غيرها.

(١) انظر منهج جديد لدراسة التوحيد للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ص ٨٢.

(٢) رواه مسلم (٣٤)، وأحمد (٢٠٨/١).

ما ضد توحيد الربوبية

يضاد توحيد الربوبية الإلحاد، وإنكار وجود الرب-عز وجل-..
ويضاده-أيضاً-اعتقاد متصرف مع الله-عز وجل-في أي شيء؛ من تدبير الكون، من إيجاد، أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، أو كالعظمة، والكبرياء، ونحو ذلك^(١).
وكما يضاده-أيضاً-اعتقاد مشرع مع الله-عز وجل-لأنه هو الرب وحده، وربوبيته شاملة لأمره الكوني والشرعي.

(١) انظر أعلام السنة المنشورة ص ٥٦.

الفرق التي أشركت بالربوبية^(١)

هناك أقوامٌ أشركوا بالربوبية، وفرّقوا أشركت به، ومن هؤلاء:

١- **المجوس**: «الأصلية» قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزليٌّ، والظلمة محدثة.

٢- **الثنوية**: «أصحاب الاثنين الأزليّين»: يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخبر، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال، كما ترى، وإن قالوا بتساويهما في القدم.

٣- **المانوية**: «أصحاب ماني بن فاتك»: قالوا: إن العالمَ مصنوع من أصلين قديمين، ولكن قالوا باختلافهما في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير.

٤- **النصارى**: «القائلون بالتثليث»: فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم. أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها.

وقولهم هذا متناقض أيما تناقض وتصوره كافٍ في رده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-: «ولهذا قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصوّرها إلا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً. وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً»^(٢).

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ أحمد شاکر، ص ٢٤-٢٦.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١٥٥/٢.

وقال ابن القيم-رحمه الله تعالى- في معرض رده عليهم: «أما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمةً أشدَّ اختلافاً في معبودها منكم؛ فلو سألت الرجل، وامرأته، وابنته، وأمه، وأباه، عن دينهم لأجابك كلُّ منهم بغير جواب الآخر»^(١).

بل قيل فيهم: «لو توجهت إلى أي نصراني على وجه الأرض، وطلبت منه أن يصور لك حقيقة دينه، وما يعتقد في طبيعة المسيح تصويراً دقيقاً-لما استطاع ذلك»^(٢).

هذا وقد بيّن الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) ما عندهم من التناقض، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية).

٥-القدرية: هم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلَقَ فعله.

والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال-تعالى- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات:

٩٦).

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه-عز وجل-^(٣).

٦-الفلاسفة الدهرية: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث ما يقدره في الأرض.

٧-عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر

وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

٨-غلاة الصوفية: لغلوهم في الأولياء، وزعمهم أنهم يضرون، وينفعون، ويتصرفون

(١) هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص ٣٢١.

(٢) ما يجب أن يعرفه المسلم عن حقائق النصرانية والتبشير لإبراهيم الجبهان، ص ١٣.

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٢٥٨/٨ والإيمان بالقضاء والقدر للكاتب ص ١٧٣-١٧٤.

في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وريوية كل شيء^(١).

٩- الروافض: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاءً من كل داء، وأمانٌ من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وهذا باطل، وبطلانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن فساده يغني عن إفساده^(٢).

١٠- النصيرية: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب عليه السلام وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله-عز وجل-مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويسمّون بـ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويسمّون بـ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل^(٣).

١١- الدرّوز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيد، وغلّوهم فيه، ووصفه بأوصاف لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: «إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»^(٤).

١٢- من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء: وذلك كحال الذين يتبعون الأبراج ويقولون-رجماً بالغيب-إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا-فسيصيه كذا وكذا، ويضعون عليها دعاياتٍ

(١) انظر هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل، ص ٣٥-٣٨ و ١٣٣.

(٢) انظر الخطوط العريضة لمحّب الدين الخطيب، تحقيق: محمد مال الله، ص ٦٩، وانظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعه، د. ناصر القفازي، ج ١/٢٩٠، والشيعه والسنة لإحسان إلهي ظهير، ص ٦٦.

(٣) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد بن أحمد الخطيب، ص ٣٤١، ودراسات في الفرق لصابر طعمية، ص ٤٢، والنصيرية، د. سهير الفيل، ص ٩٣-١٠٣، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان الأذني، دار الصحوة.

(٤) انظر عقيدة الدرّوز، عرض ونقض د. محمد بن أحمد الخطيب، ص ١١٧، وانظر الحركات الباطنية، ص ٢٣٣-٢٣٨.

تقول: مِنْ شهر ميلادك تعرف حظك ، أو من اسمك تعرف حظك.
كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ، والغيبُ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

١٣-القانونيون: الذين يصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نخاعة أفكارهم، وزبالة أذهانهم. فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه^(١).

(١) انظر رسالة تحكيم القوانين لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله.